



أمس، كتبت عن الاتفاق الذي تم التوصل إليه مبدئياً بين الغرب وإيران، قراءة للمرحلة الماضية ومحاولة فهم لماذا قبلت إيران بالاتفاق، وما هي أثمانه المحتملة. الأهم من الماضي، إيران الجديدة، نظام بلا عقوبات وملاحقات قانونية كانت تقيده ثلاثة عاماً مضت.

أرى أننا أمام اتفاق مثل كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، فاتفاق النووي استراتيжи يطوي صراعاً إيرانياً مع الغرب، ونهاية التهديد للدولة اليهودية، ويعني وبالتالي نهاية صراع الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع الإسرائيليين، والأرجح أن ذلك ضمن شروط الاتفاق الرئيسية، بغض النظر عما تقوله أجهزة الدعاية في طهران. وبالتالي إيران صارت خارج النزاع مع الغرب وإسرائيل، مما يعني أن إيران ستترنح للنزاع العربي - الإيراني، والطائفي الشيعي - السنوي المحتدم بلا توقف. والأهم لنا في العالم العربي عموماً، وعرب الخليج تحديداً، أن نقرأ خياراتنا، فما هي خيارات الدول التي تقع على خط التماس مع إيران، مثل السعودية وشقيقاتها الخليجية، التي عاشت عقوداً متواترة، وأحياناً مواجهات عسكرية مباشرة، والكثير من حروب بالوكالة في لبنان والبحرين والآن اليمن وال العراق؟
يوجد احتمالان لا أرى ثالث لهما: المصالحة أو المواجهة، حيث لن يبقى الوضع القائم، كما عرفناه.

وكلنا ندرك أن دول الخليج دائماً كانت مستعدة للمصالحة مع إيران، بحكم طبيعة أنظمتها المسالمة، وإيران كانت غالباً الدولة في حالة الهجوم، والراغبة في تغيير المنطقة وفق منظورها الفكري والسياسي. وقد سبق أن كتبت مفصلاً عن مسعى مهم قاده الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجاني في أوائل التسعينات، وقد إلى مصالحة مع السعودية توقفت بموجتها نشاطات المعارضة والداعية المعادية على الجانبين وأسست قنصليات وفتحت الأجواء لطيران البلدين والتبادل التجاري. دامت تلك لبعض سنوات ثم انتكست العلاقات بعد أن اكتشف السعوديون نشاطات تحريرية برعائية أحد الأجهزة الإيرانية، وزادت توبراً مع وصول أحمدي نجاد للحكم في طهران.

الآن، قد تريد إيران التحول سياسياً لتكون دولة مسالمة وتخلى عن فكرة تصدير الثورات وتغيير المنطقة، طالما أنها تخلت عن مشروع القبلة النووية. وهذا لا يمكننا أن ندرك حقيقته إلا إذا جربت الحكومات الخليجية التواصل ومعرفة التوجهات الإيرانية وما هي حقاً مستعدة للالتزام به بما يخدم الأمن والسلم الإقليمي. إنها فكرة صعبة التخيل، مثل الإيمان بتحقيق سلم بين الثعلب والحملان، إنما من يدرى، قد تري إيران أن تتغير وتستحق منا أن نستمع إليها ونتحسن مصداقيتها.

الاحتمال الآخر أن إيران تريد أن تعيش عن مشروعها النووي الرامي للتفوق الإقليمي، بالتوسيع وزيادة مكاسبها على الأرض. وأظن أننا شاهدنا كيف تجرأت إيران، رغم مفاوضاتها السلمية مع الغرب، على إرسال مقاتلين وأسلحة للانخراط مباشرة ولأول مرة في حروب عربية – عربية، قاتلت إلى جانب الأسد في سوريا، ورجالها يقاتلون في العراق واليمن الآن، ناهيك بالصراع في لبنان. كلها توحى بأن إيران أزدادت شراسة وليس العكس.

وفي كلتا الحالتين ليس على دول الخليج إلا أن تعيد التفكير في سياستها الدفاعية التي قامت لعقود طويلة على الاعتماد على مبدأ أينهاور الملزם بحماية الخليج. في ظل حكومة الرئيس باراك أوباما الولايات المتحدة لم تعد ملتزمة رغم ما صرحت به أوباما بأن بلاده «ملزمة بالدفاع عن حدود المملكة العربية السعودية».

فالعبارة أقل التزاماً، وفيها ضبابية يمكن لواشنطن التناول منها متى ما شاءت. وقد سبق أن عرض الأميركيون ما سموه بالدرع الصاروخي لحماية الخليج من أي هجوم إيراني، وهو جزء لا يكفي، وليس على الخليج سوى أن يطور قدراته العسكرية، خصوصاً الجوية بشكل كبير جداً، وبيني تحالفاته الإقليمية. والهدف هو إقناع إيران وحدها أن الاتفاق النووي يجب أن يكون اتفاق سلام شامل وليس اتفاقاً خاصاً بإسرائيل والغرب.

الشرق الأوسط

المصادر: